...«غَفَرَ اللهُ لَكَ»...

كان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار رجلاً صالحاً له فضلٌ ، وكان يحدّث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ، ويقول: ما رأيتُ أعجبَ مما كنّا فيه من لزوم ما مضىٰ عليه آباؤنا من الضلالات.

ثم قال: لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة ، قلتُ: أسير مع قريش إلىٰ هوازن بحنين فعسىٰ إن اختلطوا أن أُصيب من محمد غرّةً فأثأرُ منه فأكونَ أنا الذي قمتُ بثأر قريشٍ كلها ، وأقولُ لو لم يبقَ من العرب والعجم أحدٌ إلا اتّبع محمداً ما تبعتُه أبداً ، وكنتُ مرصداً لما خرجتُ له لا يزدادُ الأمر في نفسي إلاّ قوة ، فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصْلَتَ السّيف فدنوتُ أريدُ ما أريدُ منه ورفعتُ سيفي حتىٰ كدْتُ أسوّره ، فرُفع لي شواظٌ من نارٍ كالبرق كاد يمحشني ، فوضعتُ يدي علىٰ بصري خوفاً عليه ، والتفتّ إلىٰ رسول الله فناداني: «يا شيبُ ادْنُ» ، فدنوتُ فمسح صدري ، ثم قال: «اللهم أعذْهُ من الشيطان».

قال: فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحبّ إليّ من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهبَ الله ما كان فيَّ ، ثم قال: «ادْن فقاتل» ، فتقدّمت أمامه أضربُ بسيفي ، والله يعلمُ أني أحبُّ أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيتُ تلك السّاعة أبي لو كان حيّاً لأوقعتُ به السيف ، فجعلتُ ألزمه فيمن لزمه حتىٰ تراجع المسلمون وكرّوا كرّة رجلٍ واحدٍ ، وقُرّبت بغلة رسول الله ﷺ فاستوىٰ عليها ، فخرج في أثرهم حتىٰ تفرّقوا في كل وجه ، ورجع إلىٰ معسكره فدخل خباءه ، فدخلتُ عليه ما دخل عليه غيري حُبّاً لرؤية وجهه وسروراً به، فقال: «يا شيبُ، الذي أراد الله بكَ خيرٌ

مما أردْت بنفسك». ثم حدّثني بكل ما أضمرتُ في نفسي مما لم أكن أذكره لأحدٍ قط.

قال: فقلتُ، فإني أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لي، فقال: «غفر الله لك»[1].

أجل يا سيّدي يا أبا الزهراء!.

لقد كان يأتيك أعتىٰ عُتاة الجاهلية يُريد قتلك، لكن ما يلبثُ أن يتحوّل بين يديك إلىٰ مدافع عنك وعن الدّين الحنيف، ورحم الله الإمام أبا حنيفة عندما قال:

أنتَ الذي من نورِكَ البدْر اكتسىٰ ... والشمس مشرقةٌ بنور بهاكا

أنتَ الذي لما توسّل آدمٌ ... من زلّةٍ بك فاز وهو أباكا

* * *

(١) عيون الأثر: ٢/ ١٩٠.